□العلوم الاجتماعية بين الغربنة والاسلمة رؤية انثروبولوجية في الواقع السوسيولوجي العراقي

أ.م.د. احمد عبد الرضا الحسني
كلية الآداب/ جامعة بغداد

المقدمة

ان التاريخ البشري لم يعرف سوى حضارتين اثنتين لا ثلاثة حضارات وهما حضارة التوحيد (المشروع الحضاري الاسلامي) و الحضارة المادية (المشروع الحضاري المادي) وهاتان الحضارتان محكومتان بالاختلاف والصراع والتنافس فكل منهما تقدم رؤية مغايرة للعالم وخاصة في نسق القيم الاخلاقية الذي تأسس عليه، فالمنظومة الاخلاقية تعد اهم المكونات الحضارية في الانسان ورؤيته للعالم. فقضية اصل الانسان هي حجر الزاوية لكل افكار العالم ، يقول الماديون ان الانسان هو الحيوان الكامل وان الفرق بين الانسان والحيوان انما هو فرق في الدرجة وليس في النوع ، فليس هناك جوهر انساني متميز، الذي يوجد فحسب فكرة تاريخية واجتماعية محددة عن الانسان، والتاريخ الاقتصادي والاجتماعي وحده هو التاريخ الذي يوجد على الحقيقة، وان الانسان نظام كغيره من النظم الطبيعية يخضع بدوره لقوانين الطبيعة الحتمية العامة ، ويقول الماديون ان الانسان نتاج بيئته وعمله ،وما خلق الانسان الا عملية بايولوجية خارجية تحددها حقائق روحية خارجية ، فاليد تسبب وتدعم تطور الحياة النفسية فاكتشافها مع اكتشاف اللغة حدد نهاية التاريخ الحيواني وبداية التاريخ الانساني .

ان هذه الطروحات المادية قد ترجمتها السوسيولوجيا والانثروبولوجيا الغربية في مجمل ما قدمته من نظريات تقوم على الجانب المادي في الانسان متجاهلة جانبه الروحي، وبالتالي فان تطبيقات هذه الفرضيات والنظريات وتقديمها حلولا لمشاكل عانت منها مجتمعاتهم ، لم تحقق النتائج المرجوة، غير ان هذه الحلول جاءت بخلاف ما يتمنون ، بل هي خلقت اشكاليات جديدة ضاقت دائرة حلولها ،بل زادت الطين بلة (كما يقال)، والغريب والمستغرب أن هذه الطروحات يراد لها ان تطبق في واقع مجتمعاتنا المسلمة !!! . بينما الاجتماع الاسلامي اذ يراعي الفردية فانه في الوقت ذاته يراعي الفطرة ، واستخدام هذه الفردية باقصى طاقاتها في اطار يوجهها الى خير المجموع ، وهو النظام المناسب لفطرة الانسان، ويقوم على الدراسة المنهجية الرامية الى اكتشاف السنن الالهية المتعلقة بالظواهر الاجتماعية من منظور اسلامي ، ويتميز بسمات منها : انه موجه قيميا وايديولوجيا، وانه مقارن فهو ينزع الى عقد المقارنات اثناء التحليل سواء داخل المجتمع المسلم او غيره، فالمقارنة منهج يتبع الوصف ويسبق التفسير، وانه واقعي لانه يناقش واقع المجتمعات البشرية من خلال العلاقات التي تنشأ بين البشر. وكذلك تهدف السوسيولوجيا الاسلامية الى الكشف عن الظواهر الاجتماعية في أي مجتمع دون تمييز، والكشف عن العلاقات والارتباطات بين مختلف الظواهر الاجتماعية أي الكشف عن السنن الالهية التي تحكم تلك الظواهر وتحدد مسارها في مختلف المجتمعات ، والتوقع بما ستؤول اليه الظواهر المجتمعية في المستقبل، وكذلك يهدف الى التحكم في الظواهر المجتمعية من اجل صالح الانسان ، فضلا عن تنقية المعارف الاجتماعية ما لحق بها من شوائب وأفكار لاتتفق مع الفكر والمنظومة الاسلامية .

ان المنظومة المعرفية الاسلامية قادرة لو اتيح لها التطبيق على التأصيل لسوسيولوجيا مبنية على حقائق اجتماعية قادرة على بناء الانسان والمجتمع وصولا الى العدالة الانسانية حلم الفقراء والمحرومين.

هذه الدراسة جاءت للوقوف على الواقع المعرفي المجتمعي وماهية الاتجاهات السوسيوانثروبولوجية الانجع والاصلح في الارتقاء بالواقع الاجتماعي، وقد تضمنت الدراسة خمسة محاور :-

اولا:- موضوع الدراسة

في قراءة للواقع المجتمعي العراقي وامتداداته العربية والاسلامية برزت جملة من التحديات التي ارقت وتؤرق جملة من المشتغلين في المجال السوسيولوجي، لا لكونها تمثل اشكاليات عجزت المنظومة القيمية من ايجاد حلول لها، بل لانها تبنت

الاتجاه المتريالي القائم على حضارة وفلسفة (اللادين) التي جاءت ردة فعل على المنحى الكنسي الذي كان يتسيد العالم الكاثوليكي والبروتستانتي ، والذي عدته هذه الشريحة العلمانية والليبرالية اللاحقة معطلا (اي الدين) للحياة الانسانية والاجتماعية، لذا جاء علم الاجتماع والاناسة بديلا عن الدين لمعالجة مشكلات اجتماعية فتكت بصيرورتهم وبنيتهم الاجتماعية كالانتحار والمخدرات والخمور والعلاقات الجنسية خارج اطار الزواج وغيرها.

اولئك الباحثون ظنوا واعتقدوا ان هذا التنظير السوسيولوجي المادي قادر على النهوض بمجتمعهم وصولا الى تحقيق رفاهيته وسعادته ، الا انهم واجهوا اشكاليات اخرى اولدتها حلولهم الوضعية لمعالجة تلكم الاشكاليات وهكذا دواليك. لذا اصبحت هذه المدرسة تعيش اشكاليات كبرى، ومع ذلك فقد برز خلال العقود الخمسة المنصرمة اتجاه في مدرستهم يؤكد على ضرورة معالجة المشكلات على وفق الاتجاهين المادي والروحي للانسان والمجتمع اي بمعنى العودة الى المدرسة الوحيانية ولكن باطار بعيد عن الاساطير والخرافات، ومع هذا نلاحظ ان النخب الثقافية والفكرية في عالمنا العربي والعراقي ما زالت تروج للنظرية الاجتماعية الغربية معتقدين بانها تمثل الحل الانجع للاشكاليات التي يعاني منها المجتمع متهمين منظومة القيم بالعجز عن مواكبة العصرنة والحداثة، ومن ثم العولمة .

ان هذه الدراسة ستقف على جملة من المقارنات بين مدرستين متضادتين متصارعتين في منظومة المثل والقيم ، وما كتاب صراع الحضارات لصموئيل هنتجتون احد منظري المحافظين الجدد في الولايات المتحدة الامريكية الا مثال ودليل على تبني هذه المنظومة شعارات الغاء كل حضارة لا تواكب ولاتتماشى مع مشروعهم الحضاري القائم على المادية البراجماتية المتوحشة، لذا جاء تحذيره (هنتجتون) من الحضارة الكونفوشيوسية ، وتحديدا الاسلامية وما تمثله من تهديد لقيم العولمة المتبناة من نظامهم الليبرالي . ان هذه الدراسة جاءت للاجابة عن جملة تساؤلات منها:

١- هل ان واقعنا العراقي وامتداداته العربية والاسلامية بحاجة الى دراسات اجتماعية على وفق المدرسة الغربية ؟

٢- هل ان الغربنة وعلى مدار قرن من دخولها الى الساحة الفكرية العربية والعراقية نجحت في حل اشكاليات يعاني منها مجتمعنا؟

٣- هل بالامكان ممازجة الاسلمة والعولمة للخروج بانموذج اجتماعي عربي ؟ ام ان المنظومة الاسلامية لوحدها قادرة على النهوض بالواقع الاجتماعي ؟.

ثانيا:-منهجية البحث

اعتمد البحث المنهج التحليلي المقارن الذي استعرض فيه مباني المدرستين الغربية والاسلامية واقفا على اي الاتجاهين انجع بالنهوض بالواقع الاجتماعي ومن ثمة تحقيق العدالة الاجتماعية .

ثالثا الغربنة western ideology

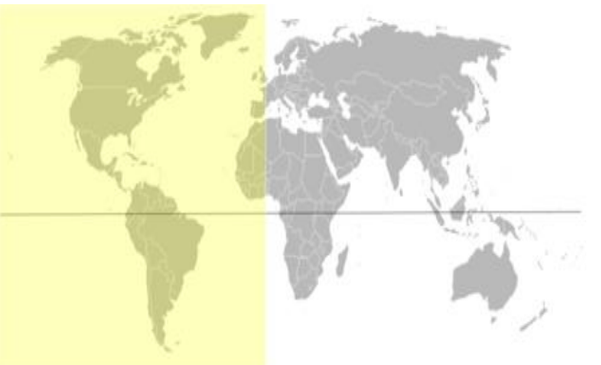

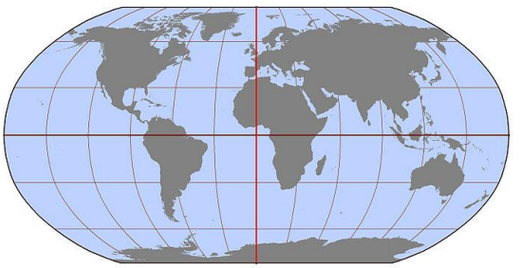

خارطة توضح شرق الارض وغربها

في اللغة : غرب ، الغرب والمغرب بمعنى واحد . والغرب خلاف المشرق وقوله تعالى في سورة الرحمن اية ١٧ "رب المشرقين ورب المغربين" ، احد المغربين اقصى ما تنتهي اليه في الشتاء ، ومثلها في المشرقين والغروب غيوب الشمس ، غربت الشمس تغرب غروبا مغيربانا ، والمغرب في الاصل موضع الغروب ، ثم استعمل في المصدر والزمان وقياسه الفتح ولكن استعمل بالكسر كالمشرق والمسجد والغرب الذهاب والتنحي وقد غرب عنا يغرب غربا وغرب واغربه واغرب وغربه واغربه : نحاه وغرب اي بعد ويقال اغرب عني اي تباعد ، ومنه الحديث النبوي انه امر بتغريب الزاني اي نفيه عن بلده ، والتغريب النفي عن البلد الذي وقعت الجناية فيه يقال اغربته وغربته اذا نحيته وابعدته ومنه الاغتراب والتغرب والغرب حد كل شيء، وغرب كل شيء حده[١] .

والغرب هو احد الاتجاهات الاربعة ويقع الى يسار خط جرنتيش في الجهة المعاكسة لاتجاه الشرق وهو موضع غروب الشمس، والمفهوم في دراستنا يشير الى اوروبا والولايات المتحدة، ويعود هذا المفهوم في جذوره الى الحضارة اليونانية والرومانية في اوروبا وظهور المسيحية، والانشقاق الكبير الذي قسم الدين الى شطرين غربي وشرقي. وفي العصر الحديث تاثرت الثقافة الغربية بشكل كبير بتقاليد الثقافة المسيحية وعصر النهضة والتنوير ،وشكلتها التوسعية الاستعمارية في القرنين ١٨ و١٩ . لقد استخدم المصطلح من طرف الاتحاد السوفيتي (روسيا) وحلفاءه خلال الحرب الباردة ضد اعدائهم، من منتصف القرن العشرين حتى وقت متأخر من القرن .

اما في السياق السياسي والثقافي المعاصر، فيشير المفهوم بشكل عام الى دول الاتحاد الاوروبي والولايات المتحدة وكندا واستراليا ونيوزلندا، ومن ارتبط بهم على اساس التبعية السياسية والحضارية، فالمصطلح يستعمل للإشارة الى مجموعة التراث الحضاري والتي تشمل المبادئ الاجتماعية والاخلاقية والتقاليد المحلية والمعتقدات الدينية والانظمة السياسية ومجموعة الاثار والاعمال التاريخية والتقنية، ومفهوم غربنة يشير الى الاتجاه الفكري والعقدي المتبنى من المدرسة الغربية علما ان المذاهب الفكرية وتحديدا مذاهبها الاجتماعية لها امتدادات وعمق تاريخي اضفى عليها والبسها الطابع المادي الذي يقوم على دعائم الحس والتجربة، لذا اخذت اسم التجريبية (الحسية) لتتميز عن الاتجاهات التي تبنت النظرية العقلية التي افل نجمها (اي العقلية) امام الاتجاه والنظرية التجريبية الحسية التي تسيدت المشهد الحضاري والفكري منذ ما يسمى عصر التنوير حتى عصرنا الراهن رغما من الاشكاليات التي وردت قبالها ان المشتغلين في الابستمولوجيا يرون ان منشأ وصيرورة المعرفة نحى اتجاهات اربعة:

١ـنظرية الاستذكار الافلاطونية

٢ـالنظرية العقلية

٣ـ النظرية الحسية التجريبية

٤ـ نظرية الانتزاع

فنظرية الاستذكار الافلاطونية تقوم على ان مصادر المعرفة تتمثل بجملة من المعارف التي حصل عليها الانسان في عالم (المثل) القريب من حيث المعنى عند المسلمين بـ (عالم الذر)، العالم الاول للخلق الانساني ، فالانسان في ذاك العالم تعلم جملة من العلوم والمعارف وقد استذكرها لاحقا في عالم كينونته الدنيوية .

اما النظرية العقلية فمدارها ان المعارف قد استنبطها العقل، فهو المصدر الاول للمعرفة الانسانية . اما النظرية التجريبية التي هي مدار الفكر الغربي المعاصر تقول ان المدار المعرفي هو التجربة ، ولولاها لما توصل الانسان والجماعات الى ماهية العلوم والمعارف ولذا جاءت هذه المدرسة (النظرية) لاغية العقل رافضة الفكر الوحياني (الغيبيات ، الماورائيات)، والميتافيزيقيا التي عدتها من نسج خيال الانسان وميثيولوجيته ، وقد عد اميل دوركايم رفض الميتافيزيقا المبدأ الاول لعلم الاجتماع وبهذا جاءت هذه المدرسة متعارضة ورافضة للدين الذي تعده منتج انساني ، ان فصل الدين عن العلم جاء بحسب دعواهم بعجز الكنيسة والمسيحية عن تحقيق العدالة الاجتماعية ، لمحاربتها العلم ، وتشجيعها الخرافات والخزعبلات . فلذلك وقفت (الكنيسة) عائقا امام جملة من المعارف والعلوم التي رات فيها تهديدا لسلطتها الدينية والدنيوية . هذه الاشكالية سببت صراعا وصداما داخل الكنيسة نفسها بمذهبها الكاثوليكي الذي تسيد اوروبا منذ القرن الرابع الميلادي ، فقد تعرضت الى انشقاق عقدي في تركيبتها اللاهوتية مما تسبب في انشقاقها الى مذهب البروتستانتية ، وقد حمَّل قادة هذا الاحتجاج والانشقاق (القساوسة مارتن لوثر وكالفن) الكاثوليكية الانحراف الذي اصاب المؤسسة الدينية ، وقد اعتمدت البروتستانتية مذهب رسمي لكثير من الدول كما في المانيا وانجلترا،وهذا التحول لم يكن دافعه عقدي ايماني ولم يتأتى على اساس ان الكاثوليكية كانت تشكل عائقا حضاريا بقدر ما كانت تتعارض ومصالحهم كما في قضية الملك الانجليزي هنري الذي اراد ان يطلق زوجته ليتزوج اخرى وكان هذا الموضوع يصطدم بحرمة الطلاق والتفريق بين الزوجين عند الكاثوليكية وعندما وجد ان البروتستانتية ترخص الطلاق للزواج من اخرى فتحول الملك الى المذهب البروتستانتي وبالتالي لحقه غالبية البريطانيين .

وكما ورد في المأثور ((الناس على دين ملوكهم)) ، والملاحظ ان الثورة الصناعية جاءت بعد تبني الانجليز البروستانتية مما عدَّ الالماني ماكس فيبر ان سبب التمدن الصناعي والتقني في انجلترا والمانيا ومن ثم امريكا هو بسبب تبني تلكم البلدان البروتستانتية، والذي اطلق عليها مذهب الانجاز والعمل ، ولكنه لم يلتفت الى ان هذا الانجاز والابداع المادي لم يحقق الاطمئنان الروحي والنفسي للفرد والجماعة ، وقد لوحظ ان المنتحرين بين الاوساط البروتستانتية هو اكثر بكثير بين الاوساط المجتمعية الكاثوليكية التي تكاد تنعدم فيها الظاهر وقتئذ. غير ان البروتستانتية لم تصمد ازاء الاتجاهات الاجتماعية المعارضة للدين، ان التحول الفكري عند الفرد الاوروبي نحو الالحاد واللادين، والقطيعة مع كل ما يمت بصلة الى الدين (المسيحية) التي حملت الكثير من الاشكاليات والميثولوجيا التي اثرت بشكل كبير على الواقع الحياتي، وتحديدا المعرفي للانسان والمجتمع، وبالتالي صار الانسان ينفر من كل ما هو كنسي ، وذلك بسبب جملة من الاخطاء التي ارتكبتها فضلا عن رجالاتها الذين وظفوا المسيحية خدمة لمصالحهم واهواء النخب السياسية الحاكمة، فقد كانت الكنيسة صارمة وشديدة مع كل من لا يتوافق مع رغباتها وهرطقاتها وخرافاتها مما ادى ان تزهق ارواح كثيرة من داخل النظام الاكليروسي (الكهنوتي) ففي عام ١٦٠٠ احرق الكاهن جيوردانوبرونو في روما بناء على قرار محكمة التفتيش بسبب ما وصفوه هرطقته ومخالفته التعاليم المسيحية وافشائه العلوم الباطلة ، وذلك بسبب مؤلفه (عن المسيح دون حدود وعن ما يتعذر تصويره اعني الكون والعوالم) اذ اكد فيه ان الارض ليست سوى نقطة صغيرة جدا تائهة في الفضائيات النجومية البينية، وانها تدور على ذاتها وحول الشمس وان الشمس ما هي الا نجمة بين مليارات من النجوم سواها، وان هذا الكون دون حدود هو ازلي ومركب باجسام صغيرة جدا لا نهاية لعددها وهي الذرات، وان الكون يشتمل على عدد وفير من العوالم مثل عالمنا عوالم مفصولة بفضاءات اخرى، وان الكون كله يتألف من ماهية ذاتها فضلا عن انتقاده عقيدة الثالوث[٢]

وفي عام ١٦٣٣ قدم غاليلو الى المحاكمة بسبب تاكيده على حركية الارض ودورانها ، وقد نجا من عقوبة الاعدام وابدلت الى السجن مدى الحياة[٣] . ان هذه التصرفات الكنسية قد جعلت منها منقطعة عن التطور الذي ظهر في اوروبا، مما حدا بها عام ١٩٦٢ وبمبادرة من القس يوحنا الثالث والعشرين الى دعوة الكنيسة الكاثوليكية لعقد مجمع هو المجمع الفاتيكاني الواحد والعشرين، وغرضه هو انفتاح الكنيسة على العالم بعد تلك النكسة وتنفتح على جميع البشر ، ولكي تقدم رسالة انجيلية متوافقة مع الازمنة المعاصرة، وفي ١٩٦٥/١٢/٨ اختتم البابا بولس السادس المجمع ، وكان من قراراته ان يبرز دور العلمانيين في الكنيسة –

غير ان هذا الدور المعطى للعلمانيين هل استطاع ان يرفع من قيمة الكنيسة لدى الاوساط المجتمعية والاوساط العلمانية؟ وهذا ما لم يتحقق ، فقد استفادت المدرسة العلمانية بتحقيق رغباتها وتطلعاتها مستخدمة بعض المفاهيم الكهنوتية لمحاكاة الفطرة الانسانية .

ومن قرارات هذا المجمع هو بقائه على هرمية الكنيسة وعصمة البابا والقسسة . مما رسخ نظرة الاوروبي حول الدين باعتباره تجربة فردانية خاصة لا تذهب ابعد من العلاقة الشخصية بالله وهي علاقة تعبر عن نفسها فقط في عقائد وشعار يؤديها الفرد . (وهذه النظرة خاصة بالمسيحية ، اما الاسلام فلا يمكن تصنيفه بهذا المعنى)

ان الملاحظ في المجمعات الكنيسية والتي بلغت حتى عام ١٩٦١ واحد وعشرون مجمعا فاتيكانيا ، انها لم تنعقد الا لحاجة ماسة وخطر يستشعرون انه يحدق بهم وبكنيستهم ، فمجمع نيقيا عام ٣٢٥م الذي عقد في نيقيا (حاليا ازنيك في تركيا) بطلب من الامبراطور الروماني قسطنطين الاول الذي عد المجمع المسكوني الاول وكان غرضه تحقيق الاجماع الكهنوتي بعد الاختلافات الشديدة والحادة بجملة قضايا عقدية وتنظيمية ، وقد رفض مقررات هذا المؤتمر جملة من القساوسة منهم اريوس الاسكندراني الذي عد هذا المجمع تكريسا لانحراف المسيحية عن اصولها ونهج (النبي عيسى عليه السلام)، وقد عارض اريوس القول بالوهية عيسى واكد على نبوته وانه بشر و عبد لله، واكد ان لا وجود لعقيدة تسمى الثالوث واعترض على الاباطيل المقدمة والتي تم اعتمادها عادَها محرفة وليست مما جاء بها عيسى (ع) ولذا طرد من المجمع ولوحق ممن قبل الامبراطور والكنيسة التي اهدرت دمه وعدته منحرفا مهرطقا مخالفا للتعاليم الانجيلية .

وهنا يطرح تساؤل : هل الكنيسة اليوم قادرة على المساهمة في البناء المجتمعي لتكون بديلا عن المذاهب الاجتماعية التي تتسيد الساحة الاوروبية والامريكية اليوم ؟

المسيحية والمجتمع :-

لكي نفهم المسيحية ولكي ندرك تطورها التاريخي لابد ان نميز بين امرين مختلفين : حياة عيسى (ع) وتاريخ المسيحية فمنذ البداية الاولى كان عيسى (ع) في ناحية والمسيحية في ناحية اخرى (تمت الاشارة اليه سلفا في قضية اريوس) ، وتحول هذا الاختلاف بمرور الوقت الى خلاف بين الالهي والانساني، هذه الحقيقة يمكن ان تفسر لنا الاعتقاد في المسيح كابن الله ففي هذا الزعم المتعلق بالانسان الاله يكمن الاعتراف الصامت بان المسيحية الخالصة غير ممكنة في الحياة الواقعية، ربما هذا الذي دفع بالفيلسوف الالماني نيتشة (١٨٤٤-١٩٠٠) الى قوله (ان اخر مسيحي مات على الصليب)، ويقول : (صدقوني يا اخواني لقد مات المسيح مبكرا جدا ولو انه عاش ليبلغ عمري لتراجع بنفسه عن عقيدته ، لقد كان من النبل بحيث يستطيع ان يتراجع بنفسه)[٤] . ان العملية التي تحولت فيها المسيحية من تعاليم عيسى الى ايديولوجية، وكنيسة ، وتنظيم من اكثر الاحداث درامية في تاريخ العالم فبعد ما يقارب من ثلاثة قرون من الاضطهاد التي تمثل اطول صراع بين المسيحية والوثنية بدأت الامبراطورية الرومانية تتقبل الواقع الجديد ففي سنة ٣١١م اصدر الامبراطور جارليربوس مرسوما بالتسامح مع المسيحية، ولم يمض وقت طويل حتى اعترف الامبراطور قسطنطين بالدين الجديد، وقد اتخذ قسطنطين خطوة تاريخية نحو تشويه المسيحية بتحويل

الجماعة الروحية الى منظمة قوية، وباعطاء الكنيسة سلطة سياسية، وخلال القرن الرابع الميلادي اكد المجمع الكنسي مذهب الكنيسة واتخذت الطقوس الدينية اسلوبا متهرجا ، واستعيرت الوان من الطقوس الوثنية الرومانية [٥] وفي بداية القرن الخامس الميلادي اعلن الامبراطور ثيودوس الثاني المسيحية دينا للدولة ثم جاء انشاء نظام الاكليروس (النظام الكهنوتي) وظهر لقب المطران* ، وقد جمعت المسيحية في مركب واحد نوعين من رجال الدين كانا معروفين في المجتمعات الهلينية والشرقية# (الاول حاكم مختار وخادم للرب والثاني مكرس للاسرار ووسيط وادخل نظام العماد والقرابين [٦] .

هذه التغيرات والتحولات الكنسية في الجوهر المسيحي سجل اخفاقا للمسيحية في منظومتها الحياتية مما اثر سلبا على الجانب العلائقي بين الطبقة الكهنوتية والتي تمثل السلطة الدينية والدنيوية وبين عوام الناس ، وهذه السلبية اولدت تراكمات كانت نتيجتها وخلال حقبة التنوير (اواخر القرن ١٧ – اواخر القرن ١٨) قيام ثورات على انظمة الحكم الثيوقراطية في اوروبا، وكانت شرارتها الاولى الثورة الفرنسية (١٧٨٩ -١٧٩٩) التي شكلت بداية سقوط الشرعية الدينية كأساس للحكم في اوروبا ولذا بات من الضروري البحث عن شرعية بديلة يقوم عليها الحكم ،وتتحدد على اساسها مسؤوليات الحاكم والمحكوم، والواجبات، والحقوق المترتبة على كل منها، لذلك ظهر العديد من المفكرين ومنهم جان جاك روسو الذي طرح فكرة العقد الاجتماعي الى جانب مجموعة اخرى من المفكرين التنويريين امثال توماس هوبز، وجون لوك بدأت هذه النخبة بطرح بدائل فكرية ومعرفية تكون بديلا عن الطروحات الدينية، والتي عدت طروحات وافكار ساهمت في ذلك الانحدار والانحطاط الحضاري الذي سببه الاستبداد السياسي والكنسي .

وكان للعلوم الاجتماعية النصيب الكبير في هذا التجديد فتصدى الفرنسي اوجست كونت (١٧٩٨ – ١٨٧٥) صاحب المقولة الشهيرة (على الله ان يتقاعد) لتأسيس علم يقوم بديلا عن الدين في التصدي لجملة من المشاكل والظواهر الاجتماعية لان علم الاجتماع يهدف الى دراسة المبادئ العامة والدعامات التي تقوم عليها الحياة الاجتماعية ودراسة انماط السلوك البشري الاجتماعي ومعرفة اثاره على الفرد والمجتمع، ومن ثم تشخيص المشاكل الاجتماعية التي يعاني منها المجتمع ، ووضع الخطط المختلفة للتصدي لها – فعلم الاجتماع قام على اساس شرعة ونهج القوانين الوضعية المستمدة من المدرسة المادية التي تسلم بوجود المادة وحدها، وبها يفسر الكون والمعرفة ، والسلوك ،والتي تؤكد على ان كل الموجودات هي نتاج المادة، والمادة هي الحقيقة المطلقة نافية كل شيء ما وراء المادة كونه غير خاضع للتجربة. وان التجربة غير قادرة على اثباته، وان الماورائيات هي محض خرافات واساطير جلبتها المسيحية التي تتعارض مع العلم بحسب الافعال والممارسات التي كانت تقوم بها الكنيسة – لقد جاء علم الاجتماع كما اسلفنا بديلا عن الانبياء كما يصفون انفسهم. الان وبعد مرور اقل من قرنين بقليل على تأسيس علم الاجتماع الذي وضع لحل المشاكل الاجتماعية التي كان يعاني المجتمع منها كالانتحار والادمان والجريمة والتفكك الاسري فهل استطاع علم الاجتماع ان يضع حلولا لهذه الاشكالية ؟

السوسيولوجيا البديل

ان التنظير الغربي السوسيولوجي في معترك التطبيق اصطدم باشكاليات قديمة جديدة انجبتها الحلول الموضوعة، فتعاطي المخدرات اصبح يشكل ظاهرة مستفحلة مستفيدة من التشريعات الكنسية التي اجازت تعاطي الخمور (وهذا لا ينطبق على كل المذاهب المسيحية فهنالك فرق مسيحية تحرم شرب الخمر كما في المورمونية في الولايات المتحدة) . وهذه الاجازة الشرعية بتعاطي الخمور خلقت اشكاليات ادت الى ازدياد نسبة الجريمة والانهيار والتلاشي الاسري ، غير ان في الاتجاه الاخر وهو المادي تظهر وتلوح فيه علامات التقدم والتطور السريع في كل مناحي الحياة المادية فهل التقدم التقني والثورة الاتصالاتية الكبرى وهذا التمدن والتحضر المادي الهائل وعلى وفق التنظير المترياللي سيخلق بيئة اجتماعية تحل جميع مشكلات الانسان والمجتمع ؟ ام ستبقى الفجوة كبيرة بين جناحي الانسان والمجتمع الروح والمادة ؟

يعرض الرئيس الاسبق للبوسنة والهرسك علي عزت بيجوفتش في كتابه (الاسلام بين الشرق والغرب) والصادر عام ١٩٩٤ جملة احصائيات رسمية تعود الى النصف الاخير من القرن الماضي تتناول الجريمة والادمان الكحولي والمخدرات والتفكك الاسري وهذا المؤلف لم يات من خارج الحضارة الغربية بل هو ابنها واعرف من غيره بتفاصيل ودقيات الانسان والمجتمع في الغرب (وكما ورد في المأثور: صاحب الدار أدرى بما فيها).

عند مقارنة البيانات الاحصائية المعروفة مع الاحصائيات اللاحقة سيلاحظ المتتبع الزيادة المطردة في الانهيار المجتمعي في الولايات المتحدة واوروبا وبالتالي ستوضع عدة علامات استفهام عن الجدوى من تطبيقات المدرسة السوسيولوجية الغربية في حل تلكم الاشكاليات .

الجريمة وواقعها :-

في الولايات المتحدة وهي اغنى دولة في العالم تظهر البيانات الصادرة عام ١٩٦٥ وقوع ٥ ملايين جريمة وكانت الزيادة في الجرائم خطيرة اسرع (١٤) مرة من الزيادة السكانية اي بنسبة ١٨٧% مقابل ١٣% وفي الدولة نفسها تحدث جريمة كل ١٢ ثانية وجريمة قتل كل ساعة وجريمة اغتصاب كل ٢٥ دقيقة وجريمة سرقة كل خمس دقائق وسرقة سيارة كل دقيقة [٧] . وبلغت نسبة جرائم القتل عام ١٩٦٧ تسعة جرائم قتل بين كل ١٠٠٠٠٠ الف من السكان اما عام ٢٠١٥ فقد ارتفعت الجريمة في الولايات المتحدة ارتفاعا حادا عما كانت عليه في ستينيات وسبعينيات القرن الماضي، فقد اظهر التقرير السنوي لمكتب التحقيقات الفيدرالي ان معدل الجرائم بلغ ٣٧٢٦ لكل ١٠٠٠٠٠ الف شخص، واشار التقرير ان معظم الجرائم تقع في المدن الكبرى[٨] ، والملاحظ ان الزيادة في الجريمة تضاعفت خلال خمس عقود اكثر من ٤١ ضعفا .

ان هذه الزيادة الجرمية تشير الا ان المعالجات على وفق التنظير السوسيولوجي هي فاشلة وبحاجة الى مراجعات جذرية. وهكذا الحال بالنسبة لبقية البلدان الغربية ففي المانيا عندما كانت تسمى الغربية ،فخلال ١٦ سنة زادت جرائم القتل ٣ مرات وفي سنة ١٩٦٦ سجل مليونا جريمة ارتفعت في سنة ١٩٧٠ الى ٢/٤١٣٠٠٠ مليون جريمة ،وزادت نسبة جرائم القتل العمد ٣٥% خلال السنوات العشر[٩] وبحسب جريدة القدس العربي الصادرة في لندن بتاريخ ٢٠١٣/٥/١٣ وتحت عنوان (فرانكفورت تسجل اعلى معدلات الجريمة في المانيا) ونقلا عن صحيفة دي فيلت الالمانية بحسب احصائيات الشرطة للجريمة عام ٢٠١٢ ، فقد بلغ معدل الجرائم في العاصمة المالية الالمانية فرانكفورت وصل الى ١٦٣١٠ الف جريمة لكل مئة الف نسمة علما ان مدينة فرانكفورت تضم اكبر مطار في المانيا كما ان بها حيا شهيرا للبغاء وجاءت في المرتبة الثانية مدينة دوسلدورف ب ١٥٠٠ جريمة لكل ١٠٠ الف شخص وجاءت ثالثا كولونيا ب ١٤٥٩٠ الف وفي العاصمة برلين بلغت الجرائم ١٤١٤٢ الف جريمة لكل مئة الف شخص وفي مدينة بريمن ١٣١٢٨ الف جريمة لكل مئة الف نسمة، وهامبورج ١٢٥٥١ الف جريمة، وجاءت ميونخ اقل المدن الالمانية تسجيلا للجرائم، اذ بلغت ٧١٥٣ الف جريمة لكل ١٠٠٠٠٠ شخص .

وعند مقارنة زيادة الجرائم خلال العقود الخمسة الاخيرة سنلحظ ان الجرائم المرتكبة في المانيا لعام ٢٠١٢ بلغت اكثر من ١٢ مليون جريمة اي بزيادة خمس اضعاف عن عام ١٩٧٠ . وفي استطلاع فرنسي عام ١٩٧٧ يؤكد ان جرائم السرقة زادت خلال عقد للمدة من ١٩٦٦ – ١٩٧٦ بنسبة ١٧٧% .

وقد نشرت صحيفة اليوم السابع المصرية في عددها ليوم ٢٠١٥/١١/١٣ نقلا عن المرصد الفرنسي للجنح والردود الجنائية تقريرا امنيا الى ان الاوضاع الامنية ليست على ما يرام وان نسبة انتشار الجرائم تزداد سنويا وان المواطنين يعانون من حوادث السرقة والسطو المسلح وارتكاب اعمال العنف والعدوان عليهم ،اذ ذكر التقرير انه عام ٢٠١١ تعرضت ٥٤٢ الف اسرة لهذه الجرائم، وذلك خلال ولاية الرئيس الفرنسي الاسبق نيكولاي ساركوزي وفي عام ٢٠١٤ وفي عهد الرئيس السابق فرانسوا هولاند، فقد تعرضت ٥٦٨ الف اسرة للسطو، وذكر المصدر ان اكثر من مليون امراة وقعت ضحية للعنف الجسدي او الجنسي

في المدة ما بين عامي ٢٠١٣-٢٠١٤ منهن ٥٧٨ الف تعرضن للتحرش الجنسي، او الاغتصاب او الايذاء البدني خارج منزلها و٥٧٨ الف داخل منازلهن ، او على يد ازواجهن، او ازواجهن السابقين . واما عن انعدام الامن والامان في الاحياء والقرى الفرنسية فقد زاد منذ عام ٢٠١١ حتى ٢٠١٤ من ٢٠،٧% الى ٢١,١% اي بنسبة ٠.٤% تقريبا . في عام ١٩٧٣ وفي العاصمة اليوغسلافية السابقة بلغراد عقد المؤتمر الدولي السابع لعلماء الجريمة (اذ اجمع المؤتمرون على ان الوقت الراهن يتميز بالتزايد المذهل للجريمة في جميع البلاد ولتفسير هذا الوضع اعترف علماء الجريمة الامريكيون بان كوكبنا هذا هو محيط من الجانحين فالناس جميعا بشكل او باخر لديهم نزعة الجنوح وانه لا يوجد امامنا مخرج من هذه الكارثة) .

اتسم هذا المؤتمر بالسوداوية والياس من عملية الاصلاح الاجتماعي وهو يصف المجتمع الانساني بالانحراف والجنوح نحو الجريمة، وبالتالي لا سبيل للخروج من هذه الكارثة والسؤال هو اين علماء الاجتماع والانثروبولوجيا والسايكولوجيا والتربية ؟ واين هي نظرياتهم في حل هذه الاشكاليات الكبرى ؟

ان هذا المؤتمر وقبل ٦ عقود اعلن بشكل صريح عجز المنظومة الغربية عن حل لهكذا جرائم فهل يعقل الاستعانة بهذه المدرسة الاجتماعية العاجزة عن حل مشكلات مجتمعاتها وتقديمها كانموذج طوباوي لحل اشكالياتنا ؟ !

الخمور والمخدرات :-

بحسب احصائيات عام ١٩٦١ احتلت فرنسا راس القائمة من حيث استهلاك الخمور في اوروبا، تتبعها ايطاليا، وروسيا، وطبقا لاحصائيات الوفاة بسبب الخمور احتلت برلين المكان الاول، اذ بلغ ضحايا الكحول ٤٤,٣ ضحية من كل مئة الف شخص من السكان، وتتبعها فرنسا ب٣٥ وفاة من كل مئة الف نسمة ثم النمسا ٣٠ وفاة [١٠] وفي تقرير لمنظمة الصحة العالمية نقلته العربية نت على موقعها الالكتروني بتاريخ ٢٠١٤/٥/١٤ ان الخمر تقتل ٦ اشخاص كل دقيقة وان المحتسين بين سكان العالم البالغ عددهم ٧٢٠٠ مليار هم ١٦% تقريبا اي اكثر من مليار و١٥٠ مليون ، واوروبا المخمورة تأتي في مقدمة المحتسين واستهلاكها الى مزيد، وتقتل الخمور طبقا للتقرير اكثر ممن يقتلهم الايدز واعمال العنف مجتمعة، والرقم مرشح للارتفاع بتزايد عدد سكان العالم . اما المخدرات فاصبحت اليوم تحت المركز الاول في اوروبا وامريكا وكندا التي شرعت قانون تعاطي الحشيش والمارجوانا عام ٢٠١٦ وكيف لا وان بحسب الاحصائيات المعروضة لسنة ٢٠١٤ فان واردات بريطانيا والولايات المتحدة من الحشيشة والهيروين بلغت اكثر من ١٥% من اجمالي ايرادهم . وبحسب احصائيات رسمية في الولايات المتحدة فان اكثر من ٩٠ شخصا يموتون يوميا في امريكا بسبب المخدرات[١١] والملاحظ ان مشكلة ادمان الخمور والمخدرات لم يقتصر على الفقر والتخلف بل هي اليوم مشكلة الاغنياء والدول المتقدمة فاذا كان الكحول والمخدرات ملاذا فاي ملاذ هذا الذي يتطلع اليه الاغنياء ؟ ومن اي شيء يهربون ؟

بيانات منظمة الصحة العالمية حول نسب تعاطي الكحول لعام ٢٠١٦

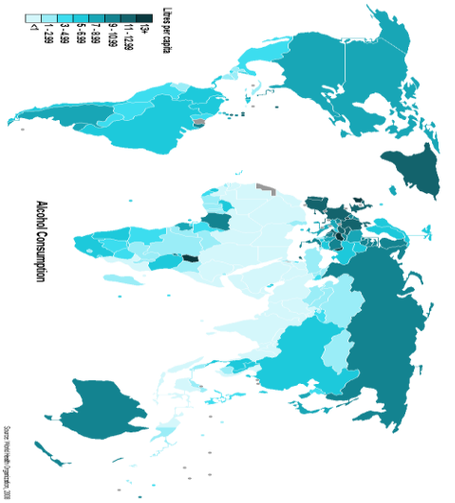

نسب تعاطي الكحول نسبة الى الموقع الجغرافي بحسب منظمة الصحة العالمية

الترتيب	الدولة	إستهلاك الكحول باللترات	استهلاك الكحول النسبي
1	جمهورية التشيك	14.1	
2	أستراليا	12.6	
3	البرتغال	12.5	
4	سلوفاكيا	12.5	
5	المجر	12.4	
6	المملكة المتحدة	12.0	
7	فنلندا	11.9	
8	فرنسا	11.6	
9	بولندا	11.5	
10	لوكسمبورغ	11.2	
11	نيوزيلندا	11.2	
12	أيرلندا	10.9	
13	سلوفينيا	10.9	
14	كوريا الجنوبية	10.9	
15	بلجيكا	10.8	
16	ألمانيا	10.6	
17	إسبانيا	10.6	
18	سويسرا	10.4	
19	كندا	10.3	
20	الدنمارك	10.2	
21	هولندا	9.6	
22	تشيلي	9.3	
23	اليونان	9.3	
24	الولايات المتحدة	9.0	
25	السويد	8.7	
26	النمسا	8.5	
27	اليابان	7.5	
28	النرويج	7.0	
29	آيسلندا	6.9	
30	المكسيك	6.8	
31	إيطاليا	6.1	
32	إسرائيل	3.1	
33	تركيا	2.4	

مؤشرات منظمة الصحة العالمية حول نسب تعاطي الكحول

الاباحية :-

واما الغزو للادب الاباحي فتتصدره فرنسا والدانمارك، والمانيا تحتل المركز الاول في هذا المجال ففي سنة ١٩٧٥ كانت الافلام السينمائية وفي باريس وحدها يوجد ٢٥٠ دارا مخصصة لعرض هذا اللون من الافلام وهذا ما اورده بيجوفيتش في كتابه. وتعد السويد من البلدان الاولى في العالم على قائمة الحرية الجنسية وكان يرتبط اسمها في سبعينيات وثمانينيات القرن الماضي بالجنس والاباحية وهي اول من شرع قوانين (الشذوذ الجنسي) وتبعتها اغلب اوروبا وكندا وامريكا وقد تبنت الامم المتحدة مشروع قانون حماية (المثليين) الشواذ جنسيا وعدتهم من الاقليات التي يجب حمايتهم هم والبهائيون .

وموضوع (اللواط والسحاق) لم يشرع ويحمى الا بناء على توصيات منظري الانثروبولوجيا و السوسيولوجيا ، والسايكولوجيا التي تؤكد ولا زالت على مبدا الحرية الجنسية لحل الاشكاليات و الامراض المترتبة التي تحدثها القيود الجنسية، وكما فعلوا في اطلاق اباحية العلاقة الجنسية بين الرجل والمراة مستهدفين الاسرة .

الاسرة في الغرب

يقول انجلز في كتابه اصل الاسرة : العامل الحاسم في التاريخ وفقا للمذهب المادي هو الانتاج واعادة الانتاج لمطالب الحياة المباشرة ، والانتاج عملية ذات وجهين ، وجهها الاول يشتمل على انتاج وسائل الوجود من السلع الغذائية والملبس والمسكن وادوات الانتاج ، ووجهها الاخر يتلخص من انتاج الكائنات البشرية نفسها اي تكاثر النوع ،ثم يقول سيصبح من الواضح انه لكي يتم تحرير النساء لا بد من تحقيق الشرط الاول لذلك وهو ادخال جميع النساء في النشاط العام وهذا يعني الغاء الاسرة المنعزلة كوحدة اقتصادية اجتماعية ـ فتعلم الاطفال والعناية بهم يصبح شانا من شؤون العامة ويرعى المجتمع جميع الاطفال بالتساوي سواء كانوا ابناء شرعيين او غير شرعيين*

ويذهب ماركس الى ان القضاء على الاسرة يعني تكييف الانسان للمجتمع او تحويله الى كائن اجتماعي بكليته وبذلك تتحول جميع اساسيات الوجود الانساني من اجتماعية ومادية ومعنوية من الاسرة الى المجتمع# اما الفرنسية سيمون دي بوفوار تقول (ستظل المرأة مستعبدة حتى يتم القضاء على خرافة الاسرة وخرافة الامومة والغريزة الابوية)=

لقد اطلق الغرب العنان للعلاقات خارج نطاق الزواج وكانت تروم معالجة مشكلة ما تسميه كبح الغريزة الجنسية ، وعند اطلاق العنان للشهوة اصطدمت النظرية الوضعية بالاولاد غير الشرعيين، ولمعالجة هذه المشكلة فتحت دور ومؤسسات لرعاية هذه الشريحة وهذه المشكلة أثقلت كاهل الدول القائمة عليها وكما اسلفت الدراسة فقد اطلق العنان الى العلاقات الجنسية الشاذة وشرعنوا زواجا لهؤلاء الشواذ واسموه الزواج المثلي واضافوه الى انواع الزواجات الاخرى المدونة في مؤلفاتهم الانثروبولوجية والسوسيولوجية ، فالحلول الموضوعة تخلق اشكاليات اخرى اشد وطأة اصابت المدرسة بالوهن والعجز عن ايجاد حلول، وهذا ما ذهب اليه مؤتمر بلغراد للجريمة المشار اليه سلفا . علما ان جملة من الدراسات العلمية أظهرت ان العلاقات الجنسية في اطار الزواج هي أقوى رسوخا وأبقى واكثر ديمومة من العلاقات المتشكلة خارج اطار الزواج القائمة على الشهوة والتي دائما ما تنتهي بالبحث عن بدائل اخرى علّها ترضي غرائزهم .

وهذا ما انتبه اليه جملة من مفكري الغرب من اربعينيات القرن الماضي ،ومنهم الامريكي مؤسس قسم علم الاجتماع في جامعة هارفارد السوسيولوجي بيترم سوروجين، الذي دعا الى ضرورة دراسة الانسان والمجتمع على وفق المنظورين المادي والمعنوي (الروحي) لكي يتحقق التوازن الاجتماعي، فميكانزمات الضبط الاجتماعي على وفق الاتجاه المادي غير مؤهلة وثبت فشلها حتى في بلادها في بناء منظومة اجتماعية متوازنة. غير ان هذه الدعوات لم تلق استجابة في ظل هيمنة المنظومة الليبرالية الراسمالية القائمة على مبدا البراجماتية الهادفة الى النفعية الذاتية بصرف النظر عن الاخرين .

رابعا: الاسلمة islamization

في اللغة : اسلم ، اسلمت ، اسلم ، اسلم ، مصدر : اسلام اسلم فلان ، دخل الى الاسلام ، اعتنق دين الاسلام تدين به اسلم امره الى الله ، خضع لما اراده الله سلم امره الى الله فوضه ، انقاد ، اسلم الروح الى خالقها : سلمها ، لفظ انفاسه الاخيرة وبحسب الوكيبيديا : مصطلح يطلق على العملية التي يقوم بها شخص او شعب او جهة ما بالتحول الى ديانة او شريعة الاسلام . يطلق البعض على هذا المصطلح على محاولة المسلمين تغيير او دعوة شخص او جهة ما الى العقيدة والشريعة الاسلامية ،ويشبه هذا المصطلح مصطلحات اخرى مثل التنصير، و التهويد وغيرها .

غير ان مفهوم الاسلمة بحسب الدراسة الحالية جاء ليقف على الاتجاه الذي تبنى هذا المفهوم بعنوان اسلمة العلوم ومنها اسلمة العلوم الاجتماعية التي تعني مواءمة ومقاربة المعارف الانسانية وفقا لوجهة النظر الاسلامية، فهل هذه المواءمة تحقق المبتغى من قيام علم اجتماع قيمومته الممازجة بين المدرسة الوضعية والمدرسة الالهية ؟

وهل بالامكان التوافق فعلا بين التجريبية القائمة على نفي الوحيانية والماورائيات وبين الالهية الوحيانية القائمة على ممازجة العقلي والتجريبي للوصول الى المعارف الانسانية والمجتمعية ؟علما ان النزاع بين المدرستين في واقعه هو عقلي فلسفي وليس نزاع تجريبي كما يشاع حوله ، لان الوحيانية تؤمن بالتجربة والحس ما دامت هي معطى ايجابي كما في النظرية العلمية التي تقول ان الماء مركب من $H^{2}+o$ (جزأتي هيدروجين + جزيئة اوكسجين) .

وهذا المعطى لايختلف حوله اثنان لانهما حقيقة علمية يقبلهما الاثنان فالخلاف بين المدرستين يقوم على اساس الاسلوب التعقلي يعني ان النزاع ليس بين الواقعية والمثالية، بل هو نزاع بين واقع وواقعي، فالمادي يقطع بعدم وجود الماورائيات بل يسفهها وهذا يحتاج الى دليل للنفي، والالهي او الوحياني يقطع بوجود الماورائيات، وهو ايضا بحاجة الى دليل وهذه الادلة هي ادلة يجب ان تكون عقلية وليست تجريبية .

وهذا النزاع حول المنظومة القيمية التي يتربع عليها الدين وهنا اعني الاسلام ،فالوحياني يقر بان الاسلام منتج الهي، وبالتالي يتعبد المسلم بالمنظومة الاسلامية القائمة على النص القراني، وما روي من السنة النبوية، وعليه يعتمد هذا كمشروع حياتي قادر على مواكبة الحياة وعصرنتها على وفق المنظور الالهي، فمفردة العلم باشتقاقاتها المختلفة وردت في القران اكثر من ٧٠٠ مرة واذ جاء تطول العلوم التجريبية بأثره الايجابي على فهم وتفسير الآيات القرآنية ،وقد استخدمت مفردة العلم في القران لتعني معنيين العلم بمعناه الخاص اي اللاهوت، والعلم بمعناه العام وهو مطلق العلم والمعرفة ويمكن تقسيم الآيات العلمية في القران الى اربعة اقسام وهي آيات الاعجاز العلمي، وآيات الاشارات المذهلة ، وآيات الاشارات التي تدعو الى التفكير والتدبر، واخيرا آيات التنظير العلمي او هي بالأحرى آيات الحقائق العلمية، كما في الاية ٤٧ سورة الذاريات (والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون) .وعلم الفلك اثبت ان الفضاء في توسع دائم . ومثال من علم الاحياء في اشارة الى تواصل الحيوانات فيما بينها كما في الاية ١٨ من سورة النمل (حتى اذا اتوا على وادي النمل قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لايحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون). وكذلك في سورة الانعام الاية ٣٨ (وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم الى ربهم يحشرون)، وهذه ادلة من ادلة كثيرة تؤكد ان الاسلام بمنظومته لا يعارض المدرسة التجريبية والتطبيقية التي تقدم المنحى العلمي الايجابي، بل التجربة هي امتداد وداعمة للحقائق .

وهنا يطرح تساؤل:- هل نحن بحاجة الى اسلمة العلوم الاجتماعية ؟ وهل بالامكان اسلمة العلوم الاجتماعية ؟

اسلمة العلوم الاجتماعية :-

الواقع خلاف ذلك فالنظرية او الحقيقة الاجتماعية هي سمة من سمات القران الكريم ،فكثير من الايات القرانية الكريمة تشير الى حقائق اجتماعية وانثروبولوجية، في حين ان الدراسات الاجتماعية والانثروبولوجية لم تتفق الى يومنا هذا على منشأ نظري واحد، بل هي فرضيات تنتظر وصولها الى حقيقة التنظير علما ان علماء الاجتماع والانثروبولوجيا يقولون ان لانظرية تثبت في الواقع المجتمعي ، لأن المجتمعات الانسانية في حركة سريعة ودائبة، وهذا مما يصعب ثبات النظرية نتيجة هذه الحركة. وهذه اشكالية منهجية لانهم يوهمون الاخرين، بان السبب لعدم ثبات نظرية هي الحركة المجتمعية ،متغافلين المبادئ النظرية المعتمدة عندهم والتي تعني بالجانب الحسي التجريبي التطبيقي متجاهلة الاتجاه التعقلي الذي يؤسس الى البديهية ومسلماتها .

وعودا الى القران الكريم وحقائقه الناصعة، فكما نوهنا ان كثير من الآيات تشير الى حقائق اجتماعية وانثروبولوجية في حين أن دراسات الأناسة والاجتماع القائمة لم تتفق على الكثير منها ، وذلك لتعدد الفرضيات والنظريات حولها كما في الاية ٢٢ من سورة الروم في قوله تعالى (ومن اياته خلق السماوات والارض واختلاف السنتكم والوانكم ان في ذلك لايات للعالمين)، وهنا الاية تؤكد على حقيقة ذلك التنوع، وهو اية من ايات الله ، بخلاف النظرية العرقية التي تقوم على مبدا المفاضلة ، بانية اصولها على فرضيات التطورية البايولوجية الداروينية ، وكذلك يدخل في اطارها علم الوراثة وعلم اللسانيات. كذلك في الاية ١٣ من سورة الحجرات تتمثل نظرية النوع الاجتماعي (الجندر) على حقيقتها لا كما نظّر لها، فالاية تشير في قوله تعالى (يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم) والملاحظ اليوم في واقعنا العربي يراد التاسيس لعلم (النوع الاجتماعي) في حين ان رئيس حكومة هنغاريا (المجر) الحالي فيكتور اوربان حظر دراسة النوع الاجتماعي في ٢٠١٨/١٠/٢٠ واغلق جامعتين تقوم بتدريس هذه المادة أحدى هذه الجامعات هي جامعة اوروبا الوسطى (CEUI) التابعة لجورج سوروس[١٢] .

يقول الرئيس المجري اوربان : ان الناس يولدون اما رجالا او نساء وهم يقودون حياتهم بالطريقة التي يفكرون بها بشكل افضل فلا داعي لوضع دراسات تسمى علم النوع الاجتماعي، وهو ليس بعلم، وانما هو ايديولوجيا ، ويقول: وفي بقاء هكذا دراسات تبديد للاموال وتدمير للمسيحية بواسطة سوروس [١٣] .

ان الاتجاه الذي تبنى مفهوم اسلمة او اسلامية العلوم الاجتماعية والذي يتماشى مع مفهوم التاصيل الاسلامي للعلوم الاجتماعية بحسب وجهة نظرهم يعني ان جوهر المهمة التاصيلية انما يتمثل في تصحيح مسار العلوم الاجتماعية القائمة اكثر من ان يكون انشاء فروع جديدة من العلوم الشرعية التقليدية تكون مختصة بدراسة الظواهر الاجتماعية، وذلك في ضوء اقتناع متزايد بان مناهج العلوم الشرعية قد كانت تركز تقليديا على الاستنباط من النصوص اكثر من تركيزها على الدراسة الواقعية الميدانية مما يجعل استخدام تلك المناهج الاصولية التقليدية غير ملائم للقيام بتلك المهمات، وعلى العكس من ذلك كما يرون فان استكمال النقص في مناهج العلوم الاجتماعية او تغيير بعض مكوناتها يبدو اقرب وايسر كثيرا من تطوير مناهج العلوم الشرعية من حيث قدرتها على الاضطلاع بالمهم الجديد .

والدراسة الحالية تتعارض والطروحات في اعلاه والتي انكرت المواءمة في المنظومة الاسلامية كما اشار البحث سلفا بين النظرية والتطبيق بحسب نظرية الانتزاع في نشأة وصيرورة المعرفة ، فالمدار في المدرسة الالهية وايمانا بالتجربة التي يشكل العلم معطى ايجابيا في تطبيقاتها. واما القول باستكمال النقص في مناهج العلوم الاجتماعية ، فهو غير ناهض لانه يبقي العلوم الاجتماعية على مادتيها وهذا ما يتعارض والحضارة الوحيانية التي تشكل الجانب والجزء الكبير من المنظومة القيمية التي يقوم عليها البناء الاجتماعي، اما في موضوع وما شاع ان اسلامية العلوم الاجتماعية تنقصها المنهجية ،ايضا يشوبه اشكال فلو رجعنا الى احد اعلام الاسلام الذين اشتغلوا في الانثروبولوجيا الدينية وهو ابو الريحان البيروني[١٤] الذي اكتشفه المستشرق الالماني(كارل سخاو) وعده المؤسس الاول للانثرو الدينية و اكبر عقلية في التاريخ في كتاب (تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل او مرذولة) وهو كتاب دون فيه البيروني الثقافة الهندية القديمة ،فكان مرجعا جامعا للفلسفة والادب والتاريخ والجغرافية وقد وصف المستشرق الايطالي الدوميلي الكتاب بقوله : انه المرجع الاساسي بكل ما يتصل بحياة الشعب الهندي وقد ترجم لعدة لغات ، ولذلك عدوا دراسات البيروني الامبريقية (الحقلية) ممثلّة للاتجاه الانثروبولوجي القيمي نائية بنفسها ومبتعدة عن الأتجاهين الأنثروبولوجيين الأخريين الالحادي والتبريري . فالبيروني كان على وفق الاتجاه الانثروبولوجي القيمي الذي تميز بالحيادية العلمية الصرفة. فهل بالامكان اعتماد منهج البيروني في تاسيس لعلوم اجتماعية اداتها الملاحظة والملاحظة

بالمشاهدة والتي تعد من الادوات الانثروبولوجية والسوسيولوجية المعاصرة وبالتالي هي ادوات ونهج قد استخدمها المسلمون قبل ١٠٠٠ سنة .؟ وهل بالامكان التأسيس لعلم اجتماع عربي ؟

العلوم الاجتماعية بين العروبة والاسلام :-

ظهر اتجاه يدعو الى قيام علم اجتماع عربي يقوم على اساس الثقافة العربية وهذا الاتجاه قد انقسم الى اتجاهين احدهما يرى التاصيل لعلوم اجتماعية عربية، وهذا اصطدم بجملة من المعوقات والاشكاليات في النظرية والمفاهيم وكيفية استبدالها، والاخر يرى باعتماد الدراسة الغربية مع مراعاة الحضارة العربية .

ان ولادة علم الاجتماع وتطوره في العالم العربي تظهر بوضوح انه نشأ عن طريق اقتباس المفاهيم السائدة في الغرب مكتفيا في البداية بوصف الظاهرات البسيطة، ولم تكن المقولات العلمية، ولا المفاهيم النظرية موحدة بين الاجتماعيين العرب، ولعل ابرز اسباب الازمة البنيوية على الجانب النظري تعود الى اقتباس برامج ومناهج النماذج الغربية ، لذلك ولدت المؤسسات الجامعية العربية كتقليد شبه تام للمؤسسات الاجتماعية الانكليزية والفرنسية ولاحقا الامريكية ،ولذلك اهتمت المؤسسات الامريكية في بلادنا بترجمة مراجع علم الاجتماعي الغربي التي تحتوي افكارا مضادة للدين والعقيدة ،وعلى سبيل المثال اشرفت مؤسسة فرانكلين الامريكية غير الربحية للطباعة والنشر (تأسست سنة ١٩٥٢ وتحولت عام ١٩٧٨ الى الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية التي آلت اليها كافة حقوق والتزامات المؤسسة) على طبع كتاب المجتمع لمؤلفيه (ماكيفر وبيج) ، نظر هذا الكتاب الى تفسيرات الدين على انها تفسيرات جامحة لابد ان ينقّيها العلم ، ودعيا الى دين عالمي من صفاته انه دين بلا جهاد، ولا يقوم على مبدا الايمان او الكفر،و نظر المؤلفان الى الدين على انه يفرق الشعوب، ويقطع اوصال الشعب الواحد ويعتبرانه عقيدة ضيقة الافق غير متسامحة لا تستند الى العقل ، يريد المؤلفان دين بلا سلطة اخلاقية ، لا يحدد القواعد الخلقية للناس ، لا يمنع الاحتكار ولا الربا يسعيان الى اخلاق تحررية تنبثق من ضمير الفرد،و روجّ المؤلفان للمذهب الانساني (والوقع انه مذهب لايمت الى الانسانية ببنت شفة) الذي يعني التخلي عن احكام ما فوق الطبيعة المتعلق بالخلق والجنة والنار، ويجتمع الناس على قواعد الاخلاق الاجتماعية (التي تصوغها قيمهم الليبرالية) وليس على اساس الدين والمعتقدات .

هذا التوجه هو الذي حكم ويحكم الاتجاه السوسيولوجي والانثروبولوجي العراقي، فقد تمثل بجملة من الاعلام الذين تخرجوا من الجامعات الغربية ، ومنهم د.علي الوردي والرعيل الذي كان بمعيته، لقد كان تاثرهم بالحضارة والمدنية الغربية واضحا جدا وبيّن في ما كتبوا كما في كتاب المجتمع لـ (ماكيفر وبيج) ولم تقف المؤسسات البحثية والجامعية الامريكية عند هذا، بل ارسلت من كتب عن العراق ومنهم الفلسطيني (حنا بطاطو) المتخصص في علم الاجتماع السياسي، وكتابه العراق الصادر عام ١٩٩٨ ترجمة عفيف الرزاز ،والذي تضمن جملة من الدراسات والمشاريع التقسيمية للعالمين العربي والاسلامي المعتمدة على مشروع الامريكي اليهودي الصهيوني برنارد لويس (١٩١٦ -٢٠١٨ من المحافظين الجدد ومنظر لسياسة التدخل والهيمنة الامريكية في المنطقة وصاحب فرضية صراع الحضارات التي اقتبسها منه تلميذه صمويل هنتجتون في كتاب صراع الحضارات). وهذا ما لوحظ بعدم وجود فروقات بين السوسيولوجيين العراقيين سواء كانوا داخل العراق او خارجه في تبني تلكم الأتجاهات الوضعية ، كما في طروحات الدكتور فالح عبد الجبار[١٥] (المتخصص في علم الاجتماع السياسي) الذي تناولت اعماله الدين والصراع الديني، ودور القانون، والليبرالية، والمجتمع المدني، والملاحظ ان كل المتخصصين الاجتماعيين العرب والعراقيين سواء كانوا الرعيل الاول او الثاني، ومن لحقهم ركزوا على ضرورة بناء مجتمع يقوم على اساس المدنية وتعني المجتمع المدني واليوم يلاحظ دائما ما يتم التركيز على الدولة المدنية ونقيضتها الدولة الدينية مستأنسين بالمقولات الغربية في هذا المجال، ويكأن التجربة الغربية هي البلسم لجراح مجتمعنا، والواقع انها مغالطة يحاولون من خلالها خلط المفاهيم والاحداث، لان الصراع الاوروبي الكنسي كما نوهنا اثبت ان المسيحية بنسختها الكنسية لا يمكن مقارنتها بالاسلام كمنظومة حياتية وهذا ما يجمع واجمع عليه جل منظري ومفكري المدرسة الغربية فهذا برنارد لويس (١٩١٦-١٩١٨) في مقالة له عن

جذور الغضب الاسلامي المنشورة بمجلة اتلانتك الأمريكية والمنشورة على الانترنت، يسلط الضوء على الاسلام باعتباره دين وثقافة تمثل خطرا وتهديدا مباشرا للغرب ويعود في كتابه (ازمة الاسلام حرب مقدسة وارهاب غير مقدس) ليؤكد ذلك. فبعد ان وسم الاسلام بانه دين وثقافة تمثل خطرا يأتي هنا ويقول ان الاسلام والمسلمين كمجتمع مغلق نتيجة لايمانه بدين ثابت لا يعرف المرونة ولا التعبير ويرفض الاستجابة لمتغيرات العصر، وهذا هو سر تخلف العالم الاسلامي الذي لن يخرج من تخلفه ورجعيته ،الا باتباع العلمانية كمنهج والدخول في سياق الحداثة الغربية ومتطلباتها ونبذ التعصب والجمود [١٦] .(علما ان العلمانية اليوم باتت تشكل خطرا تسير بهم نحو المجهول وهذا ما صرح به جملة من مفكريهم وساستهم، فتصريح السياسية الفرنسية ماريا لوبان التي نافست الرئيس الفرنسي ماكرون في انتخابات ٢٠١٧ وسمت العلمانية المتبعة في فرنسا بأنها متوحشة تسير بفرنسا نحو الهاوية). لذا تجد ان الاتجاه المتبع في السوسيولوجيا الغربية والتي تدرّس في المجتمعات العربية ومنها مجتمعنا العراقي تقوم على هكذا مبادئ تقوم على الاتجاهات الليبرالية والعلمانية ،لانها على وفق منهج معد له ضمن المؤسسات والمراكز العلمية والبحثية وضمن نشراتهم ومنشوراتهم ومطبوعاتهم التي تهيء الى التبعية الحضارية المادية . وبعد هذا الايجاز هل بالامكان اسلمة العلوم وهل نحن بحاجة الى اسلمتها ؟

الخلاصة تقول لا تقوم الاسلمة على اساس الافادة من العلوم الاجتماعية التي تقوم على تلكم الاسس التي مر ذكرها على لسان مفكريهم ومنظريهم بل يجب التأصيل لاسلامية المجتمع علما ان المنظومة التراثية قادرة على التاسيس لعلوم اجتماعية تحاكي واقع المجتمع والانسان وقادرة على ايجاد حلول لاشكاليات المجتمع حلول جذرية لا ترقيعية كما في المدرسة الغربية.

خامسا:-النتائج والتوصيات

١-النتائج

١- اظهرت الدراسة ان العلوم الاجتماعية المعتمدة في مؤسساتنا الاكاديمية هي نفسها السوسيولوجيا الغربية بنظرياتها وفرضياتها

٢-تبين ان الاسس التي انشئت عليها العلوم الاجتماعية الغربية تقوم على اساس اللادين والالحاد

٣-المحاولات التي يقوم بها جملة من المشتغلين العرب والعراقيين في محاولة التاسيس لعلم اجتماع اسلامي او عربي هي محاولات بسيطة وغير ناهضة كونها اعتمدت المنهجية والميكانزمات الغربية اساسا في عملها

٤-ان علم الاجتماع في الغرب عاجز عن حل الاشكاليات المجتمعية التي اسس من اجل وضع حلولها ، وهذا ما تبين من بيانات واحصاءات مؤسساتهم ومراكزهم البحثية التي أظهرت الاطراد في تفاقم اشكاليات الجرائم بأنواعها ،والأنحدار المجتمعي .

٢-التوصيات

١-على المشتغلين والمتخصصين الاجتماعيين الافادة من المنظومة الاسلامية في البناء الاجتماعي وصولا الى العدالة الاجتماعية ، مؤسسين لعلم اجتماع اسلامي متبنيا المنهج (البيروني) القائم على الاتجاه الانثروبولوجي القيمي المرتكز الى منظومة المعرف الاسلامية.

٢- انشاء مراكز بحثية تضم جملة من الباحثين على مستوى الاجتماع والانثروبولوجيا والاقتصاد وعلم النفس والتربية للنهوض بواقع العلوم الاجتماعية وبناءها المنهجي محاكية واقعنا الانساني والمجتمعي .

٣-الافادة من التجارب السوسيولوجية العالمية التي تتوافق ومنظومتنا القيمية.

٤- توجيه المراكز البحثية والمؤسسات الاكاديمية والتربوية والاعلامية بتوضيح والتعريف بماهية المشروع الحضاري الاسلامي وقدرته على الارتقاء والنهوض بواقعنا البنيوي .

فهرست الهوامش

[1] ابن منظور ، لسان العرب / مح ١ ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، ذ٩٥٥ ، ص ٦٣٨ -٦٤١
[2] جورج مينوا، الكنيسة والعلم - تاريخ الصراع بين العقل الديني والعقل العلمي، ترجمة موريس جلال، الاهالي للطباعة والنشر، دمشق٢٠٠٥ ، ص٤٣٩
[3] كورنولوجيا الكنيسة (الكرنولوجيا هو علم التسلسل او الميقاتية والمفردة مأخوذة من اليونانية : خرونوس وتعني زمن ، ولوغوس تعني علم ، وهو علم يبحث تأريخ الاحداث وفقا لتسلسل وقوعها وتحديد دقية تواريخها)
١٥٣٧ يعلن بولس الثالث ان الهنود الحمر بشر
١٥٤٢ انشاء محكمة التفتيش الرومانية على يد الكاردينال كازاخا
١٥٩٠ اليسوعي خوسيه يبحث عن مصدر الهنود الحمر
١٦١٩ فانيني يحرق حيا
١٢٥٠ الاسقف روبير غورستيت يشيد بالطرق التجريبية
[4] علي عزت بيجوفتش ، الاسلام بين الشرق والغرب ، مؤسسة العلم الحديثة ، بيروت ، ١٩٩٤ ، ص٣٥١
[5] فيورباخ ، اصل الدين ، ترجمة وتحقيق احمد عبد الحليم ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، بيروت ،٢٠٠٥ ، ص١٠٠
[*] بالاغريقية تعني أم المدن ،بمعنى صاحب المدينة الام أو الكبيرة – ميتروبولوتيس – رتبة كنسية تمنح للاسقف ،يشرف بلقب نيافة أو سيادة ، وبالسريانية : حسبو أو معليو ، ووردت في المصادر العربية أنه رئيس المدينة والقاضي الذي يفصل الخصومات بين المسيحيين . ينظر ويكيبديا الموسوعة الحرة
[#] الهيلينية مستمدة من كلمة هيلا(يونانية ، لاتينية) ، وهي الاسم العرقي الذ يطلقه اليونانيون على انفسهم ، وهي حقبة متأخرة من الحضارة الاغريقة التي ازدهرت في الحقبة المسماة العصر الكلاسيكي وتمتد من اوائل القرن ٤ ق م ، وحتى موت الاسكندر سنة ٣٢٣ ق م ، وفي هذه المدة عدّت الثقافة الاغريقية في أوج عظمتها وعبقريتها الفكرية والفلسفية ، بخلاف الهيلينستية التي تعدّ ثقافة مركبة من عناصر يونانية وشرقية حمل فيها الاغريقيون الى الشرق الفلسفة ولقّح فيها الشرقيون حضارة اليونان بروحانية الشرق وعاداته وعلومه. ينظر ويكيبديا الموسوعة الحرة.
[6] جورج مينوا، مصدر سابق ، ص ٤٥١
[7] علي عزت بيجوفتش ، مصدر سابق ،ص١٥٥
[8] تلفزيون / قناة BBCعربي / بتاريخ ٢٠١٦/٩/٢٦ تقرير بثته شبكة BBC تحت عنوان ارتفاع معدلات الجريمة في الولايات المتحدة عام ٢٠١٥
[9] علي عزت بيجوفيتش ، مصدر سابق ، ص١١٧
[10] المصدر نفسه ، ص١١٩
[11] عن قناة البي بي سي BBC العربية تقرير في ٢٠١٧/٤/٢٩
www.bbc.com/arabic/media
[*]فردريك انجلز ١٨٢٠-١٨٩٥ فيلسوف الماني يلقب بأبو النظرية الماركسية الى جانب ماركس اشتغل بعلم الاجتماع وكان كاهنا ومنظرا سياسيا
[#] كارل ماركس (١٨١٨ – ١٨٨٣)
فيلسوف الماني واقتصادي وعالم اجتماع اهم كتبه بيان الحزب الشيوعي وراس المال
[12] جورج سوروس : مليارديرر يهودي هنغاري المولد امريكي الجنسية واعطى اكبر منحة قدمت للجامعة الاوروبية في بوداسيت وصاحب منظمة ومؤسسة المجتمع المفتوح وهو محول ما يسمى بالثورات الملونة وثورات الربيع العربي
في عام ٢٠١٠ تبرع بمبلغ ١ مليون $ لدعم قانون يبيح استهلاك الحشيش للمواطنين في الولايات المتحدة قدرت ثروته عام ٢٠١٤ ب٢٤ مليار$ ووضع في المرتبة ٢٧ لقائمة فوربس لاغنياء العالم ويعد في نفس العام ٧ اغنى رجل في الولايات المتحدة .
[13] newshttps://ara.reujters.com/article/world
[14] ابو الريحان محمد بن احمد البيروني (٣٦٢هـ بخوارزم من اعمال اوزبكستان – ت ٤٤٠هجري في مدينة غزنة من اعمال افغانستان) كان عالما بكثير من العلوم بعلم الانسان و الفلك والرياضيات والفيزياء والجغرافية والصيدلة والطب والجيولوجيا والفلسفة ويتكلم ٧ لغات ، الفارسية والسنسكريتية والعبرية والاغريقية والسريانية فضلا عن العربية ، واطلق عليه المستشرقون بطليموس العرب ، وقد قال عنه المستشرق الالماني كارل سخاو المتوفي سنة (١٩٣٠) بأنه اول من كتب بالانثروبولوجيا وعدّه اكبر عقلية في التاريخ العلمي، ووضعت له جامعة موسكو نصب في المتحف الجيولوجي .
[15] فالح عبد الجبار (١٩٤٦-٢٠١٧) دكتوراه في علم الاجتماع السياسي من كلية بيريك في جامعة لندن وقد تتلمذ على يد استاذه اليهودي العراقي سامي زبيدة الاستاذ في كلية بيريك بلندن ، لفالح الكثير من المؤلفات ومنها العمامة والافندي ، عمل لمديرا لمعاهد متعددة في لندن وبيروت ونيقوسيا ومنها (معهد الدراسات الستراتيجية) المعني باصدار الترجمات عن الديمقراطية والليبرالية وخصوصا ترجمته الكاملة لكتاب الديمقراطية في امريكا لمؤلفه الفرنسي القاضي الكسيس دو توكفيل الفه عام ١٨٥٩
[16] احمد عرفات القاضي ، الاسلام والغرب اشكالية الصراع وضرورة الحوار ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ٢٠١٠ ، ص١٩٣-١٩٤

المراجع والمصادر

القران الكريم

المعاجم

١- ابن منظور ، لسان العرب / مح ١ ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، ذ٩٥٥

المصادر

١- احمد عرفات القاضي ، الاسلام والغرب اشكالية الصراع وضرورة الحوار ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ٢٠١٠
٢- جورج مينوا ، الكنيسة والعلم - تاريخ الصراع بين العقل الديني والعقل العلمي ، ترجمة موريس جلال ، الاهالي للطباعة والنشر ، دمشق ، ٢٠٠٥
٣- علي عزت بيجوفتش ، الاسلام بين الشرق والغرب ، مؤسسة العلم الحديثة ، بيروت ، ١٩٩٤
٤- فيورباخ ، اصل الدين ، ترجمة وتحقيق احمد عبد الحليم ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، بيروت ،٢٠٠٥

الشبكة العنكبوتية

١- موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة
٢- موقع الجزيرة نت
٣- موقع العربية نت
٤- موقع صحيفة اليوم السابع الالكترونية المصرية
٥- موقع وكالة رويترز الالكتروني
٦- موقع قناة BBC التلفزيونية